مجلـــة العلـــوم التربـــوية والدراســـات الإنســـانيـــة
ISSN: 2709-0302 (online)

Humanities and Educational Sciences Journal
ISSN: 2617-5908 (print)

خصائص الحجاج في الخطاب العباسي الشفوي (خطب داود بن علي أنموذجًا)(*)

د/ ابتسام بنت زيدان بن علي التميمي
أستاذ الدراسات الأدبية المساعد بقسم اللغة العربية
في كلية الآداب بجامعة الأميرة نورة بنت عبدالرحمن - الرياض
ezaltamimi@pnu.edu.sa

*) تاريخ تسليم البحث 25/12/2022 تاريخ قبوله للنشر 9/1/2023
*) موقع المجلة: http://hesj.org/ojs/index.php/hesj/index

خصائص الحجاج في الخطاب العباسي الشفوي
(خطب داود بن علي أنموذجًا)

د/ ابتسام بنت زيدان بن علي التميمي
أستاذ الدراسات الأدبية المساعد بقسم اللغة العربية
في كلية الآداب بجامعة الأميرة نورة بنت عبدالرحمن - الرياض

الملخص

الخطابة فن شفوي إقناعي حجاجي يحمل طابعًا تداوليًا يرمي إلى التأثير على الجمهور، واستمالته عن طريق أساليب ذات مقاصد دلالية توظف اللغة، وتستعرض الأدلة والبراهين؛ لتحويل المتلقين عن مسارهم إلى المسار الذي يتغياه الخطيب. ويتجلى ذلك في الخطابة السياسية أكثر من غيرها؛ لذا تسعى هذه الدراسة إلى الكشف عن خصائصها الحجاجية في العصر العباسي من خلال قراءة خطب أحد أعمدتها في ذلك العصر وهو: (داود بن علي)؛ للوقوف على خصائص الحجاج في الخطاب العباسي الشفوي، وكيف أن هذه الخطب قد شكلت مع غيرها قوة إقناعية أكسبت الحزب العباسي قوة وهيبة أمام الجماهير التي انجذبت لهم، وتأثرت بالخطاب الملقى؛ فاقتنعت وأذعنت. وتوصلت الدراسة إلى نتائج عدة أهمها: البنية الحجاجية القوية التي أوجدها داود في خطبه مستعينًا بآليات حجاجية متنوعة، وأساليب قادرة على الإثارة والتأثير، كما تنوعت حججه، وارتفع صوت السلطة فيها.

الكلمات المفتاحية: الحجاج، الخطاب الشفوي، داود بن علي، الخطابة السياسية.

Arguments' Characteristics in Abbasid Oral Discourse (The Speeches of Dawoud bin Ali as a Model)

Dr. Ebtesam Bint Zaidan Bin Ali Altamimi
Assistant Professor of Literary Studies, Arabic Department at the College of Arts at Princess Nourah Bint Abdulrahman University, Riyadh, KSA

Abstract:

Elocution is a persuasive, argumentative oral art that aims at influencing audience and persuading them through employing pragmatic styles and techniques which utilize the usage of language. It presents evidence and proofs to convince recipients divert from their path to the desired one of the speakers. This is seen mostly in political elocution more than any other field of public speaking. Therefore, this study seeks to reveal the argumentative characteristics of political elocution in the Abbasid's era by analyzing the speeches of Dawoud Bin Ali as one of its prominent figures. The analysis seeks to reveal the argumentative characteristics in the Abbasid's oral elocution and how these speeches had formed with other factors the persuasive power that empowered the Abbasid speakers to attract and convince the audience. The study shows many results, most of which are the strong argumentative structure that Dawoud created in his speeches, using different argumentative techniques and influential styles. He also applied various premises that showed an authoritative voice.

Keywords: Arguments, Oral Discourse, Dawoud Ben Ali, Political Elocution.

المقدمة:

الخطابة فن نثري قديم، وجنس حجاجي شفوي يتكئ على التواصل الإقناعي والتأثيري والتحاوري، ويستجيب لآليات المقاربة التداولية التي تتجلى – بصورة واضحة – في الخطابة السياسية القائمة على التأثير في المتلقي، وإقناعه بما يريد المرسل، وحمله على ردة الفعل التي تتغياها الخطبة، ويقصد إليها الخطيب.

وقد كانت الخطابة السياسية سلاح العباسيين الذي أشهروه أمام الجماهير – بعد إسقاطهم للدولة الأموية؛ لإقناعهم واستمالتهم.

وتتجه هذه الدراسة إلى قراءة المتن الخطابي السياسي الذي صاحب قيام الدولة العباسية، متمثلًا في خطب (داود بن علي) أحد أعمام الخليفة السفاح مؤسس الدولة، وخليفة المسلمين.

ولأن الخطابة إحدى مفاخر العرب في عصورهم السالفة، آثرتها بالدرس؛ فهي منبع البلاغة والفصاحة واللسن، كما أنها وسيلة شفوية للتواصل والإقناع والاستمالة؛ فالحجاج فيها يمتاز عن الحجاج في غيرها من الفنون المكتوبة؛ إذ هو حجاج خاص يعمد إلى جذب المتلقين وشد انتباههم والاستحواذ على أسماعهم؛ فهو يصارع عدوين لدودين، هما: عدم الانتباه والنسيان(١). هذا إلى جانب ثراء المدونة النثرية التراثية باللمحات الحجاجية، والإشارات التواصلية، فضلًا عن كونها – كما يرى أرسطو – معادلة للفكر السياسي الذي يعمل على التأثير في المستمع ومن ثَمَّ حثه على إنجاز الفعل وأدائه(٢).

وإلى جانب الأهمية التي أشرت إليها — سالفًا — تبرز الأسباب التي حفزتني **لاختيار الموضوع** ودراسته؛ فالخطابة السياسية مجال خصب للدراسات الحجاجية والتداولية والدراسات اللسانية الحديثة. كما أنها ترتبط ارتباطًا وثيقًا بالإقناع والحجاج. هذا إلى جانب طرافة الموضوع وجدته؛ إذ لم يدرس – حسب علمي – دراسة حجاجية تداولية تنم عن استيعاب النص التراثي للمناهج الحديثة.

وبناء على ذلك تتمثل **أهداف هذه الدراسة** في: الكشف عن خصائص الحجاج في الخطاب العباسي الشفوي في الخطب موضوع الدراسة، واستنطاقها في محاولة لإبراز أنواع الحجج وآليات الخطاب الإقناعي واستثماره لأساليب الحجاج الشفوي الدال على بلاغة الاتصال عند العرب في خطاباتهم المتنوعة؛ **ولذا فإن هذه الدراسة تتجه إلى الإجابة عن سؤالين:** ما أنواع الحجج التي استحوذت على النص؟ وفيم تمثلت الأساليب الحجاجية الشفوية التي دعمت الخطب وارتقت بها إلى الغاية الإقناعية؟

(١) انظر: الحسني، سامية الدريدي، (١٤٣٠هـ – ٢٠٠٩م)، دراسات في الحجاج: قراءة لنصوص مختارة من الأدب العربي القديم، ط١، عالم الكتب الحديث، عمّان/ الأردن، ص١١٧.

(٢) انظر: أرسطو، (٢٠٠٨م)، الخطابة، ترجمة: عبدالقادر قنيني، د.ط، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء/ المغرب، ص٥.

وقبل رسم هيكلة البحث التي ستجيب عن السؤالين، يجدر بنا أن نشير إلى **الدراسات السابقة** لهذا البحث. بعد التقصي والفحص، وما وقع تحت يدي، وبلغ إليه علمي، لم أجد موضوعًا تطرق إلى دراسة خطب (داود بن علي) دراسة حجاجية أو تداولية. والدراسة الوحيدة التي وقعت عليها، وتناولت خطبه، هي:

العرباوي، محسن علي حسين، (٢٠٢٢م)، لغة السرد في خطب داود بن علي: دراسة تحليلية، مجلة الدراسات المستدامة، الجمعية العلمية للدراسات التربوية المستدامة، مج٤/ع٢/ملحق٢/ص٥٣٧ – ٥٧٠.

وهي دراسة تطرق بابًا غير الباب الذي أنوي طرقه. كما أن هناك دراسة أخرى تناولت الخطابة السياسية في العصر العباسي الأول وآليات الإقناع فيها، وهي:

عباس، عرفة حلمي، (٢٠٠٩م)، آليات الإقناع في الخطابة السياسية في العصر العباسي الأول (١٣٢ – ٢٤٧هـ)، فكر وإبداع، رابطة الأدب الحديث، مج٥٢/ مايو/ ص٤٧ – ١٠٦.

وهذه الدراسة لم تختص بـ (داود بن علي) وحده، كما أن طريقة التناول مختلفة عما أرمي إليه.

ذاك ما يتعلق بالدراسات السابقة، **أما منهج الدراسة** الذي أرتضيته لمدونتي فيتجلى في المقاربة التداولية التي تكشف أهم الأساليب الحجاجية والتقنيات التي أسهمت في توظيف الحجج والبراهين لدعم الأفكار المنشودة، وجعلها رسالة تواصلية ناجحة تستميل المتلقي وتؤثر فيه وتقنعه؛ فيسلم بمضمون الخطاب.

وجاءت الدراسة في مقدمة أشارت إلى أهمية الموضوع، وأسباب اختياره، وأهدافه، ومشكلته، والدراسات السابقة، ومنهجه، وخطته، يتبعها تمهيد يعرّف بالخطيب وخطبه، ومن ثَمَّ يأتي مبحثا الدراسة؛ فيتناول المبحث الأول أنواع الحجج في خطب داود بن علي، ويدرس المبحث الثاني أساليب الحجاج الشفوي في خطبه، وتختم الدراسة بخاتمة تحوي أهم النتائج والتوصيات، تتبعها قائمة المصادر والمراجع.

التمهيد:

أولًا: داود بن علي: هو أبو سليمان الهاشمي؛ داود بن علي بن عبدالله بن العباس، أحد مؤسسي الدولة العباسية، وعم الخليفة العباسي الذي ولاه إمرة الكوفة، ثم المدينة والموسم ومكة واليمن واليمامة. روى عن أبيه وروى عنه الأوزاعي وشريك وابن جُريج وغيرهم. حج بالناس سنة (١٣٢هـ)؛ وهي أول حجة حجها بنو العباس، ثم توجه إلى المدينة وأقام بها أشهرًا؛ حيث أدركته الوفاة فيها في شهر ربيع الأول من عام (١٣٣هـ)، وهو ابن (٥٢) سنة. كان خطيب بني العباس؛ فهو أنبغ أخوته وأبلغهم وأخطبهم وألسنهم في وقته[1].

(١) انظر: ابن الجوزي، أبو الفرج عبدالرحمن بن علي، (١٤١٢هـ – ١٩٩٢م)، المنتظم في تاريخ الأمم والملوك، دراسة وتحقيق: محمد عبدالقادر عطا ومصطفى عبدالقادر عطا، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت/لبنان، ج٧/ ص٣٢٢ – ٣٢٣؛ صلاح الدين الصفدي، خليل بن أيبك، (١٤١١هـ – ١٩٩١م)، كتاب الوافي بالوفيات، اعتناء: محمد الحجيري، ط٢، فرانز شتايز/ شتوتغارت، ج١٣/ص ٤٧٨ – ٤٧٩؛ الهاشمي، أحمد، (١٤٠٣هـ – ١٩٨٣م)، جواهر الأدب، ط٢٩، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، د.م، ص ٤١٥ – ٤١٦.

ثانيًا: خطبه:

تتكون مدونة الدراسة من ثمان خطب أوردها أحمد زكي صفوت في جمهرته[١]؛ سبع منها منسوبة لداود بن علي، وواحدة يتنازعها مع الخليفة المنصور؛ إذ نسبت لداود في كتابي: عيون الأخبار، ومواسم الأدب، ونسبت للمنصور في العقد الفريد[٢]. وقد أرتأيت في هذه الدراسة الاعتماد على أقدم مصدر ترد فيه الخطبة، مع الاستعانة بغيره في حال النقص أو الزيادة أو الاختلاف وفق ما يتطلبه البحث، ويخدم ما نحن بصدده.

المبحث الأول: أنواع الحجج في خطب داود بن علي:

الحجاج فن الإقناع المؤدي إلى الإذعان؛ لذا فهو يقوم على مجموعة من القواعد والأحكام المتعلقة ببنية الخطاب، وما يربط بين أقسامه الكبرى من علاقات، إلى جانب اتكائه على ثلة من الأدلة والبراهين والحجج. ولما كانت مدونتنا مدونة شفاهية؛ وجب لفت النظر إلى الفرق بين الحجاج الشفاهي والحجاج الكتابي؛ فالحجاج الشفاهي حجاج يعتمد على الاختزال والتكثيف، ومهارة انتقاء الحجج القادرة على التأثير والفعل[٣]. ومن هنا جاء هذا المبحث؛ ليطرح تساؤلًا مفاده: ما أنواع الحجج في خطب داود بن علي؟ وستركز الإجابة على الحجج الآتية: الحجج شبه المنطقية، والحجج المؤسسة على بنية الواقع، والحجج التي تؤسس بنية الواقع، مع الإشارة إلى الحجج الأقل ورودًا في الخطب، مثل: الحجج التي تستدعي القيم، والحجج التي تستدعي المشترك. وينبغي ألا ننسى أن هذا التقسيم سيأتي من أجل الدراسة والفحص؛ فالحجج متداخلة فيما بينها ومتمازجة مع غيرها؛ فيمكن أن تُردّ الحجة الواحدة إلى أكثر من نوع وصنف؛ نظرًا لانفتاح النص على أكثر من تأويل، إلى جانب طبيعة الحجاج المرنة والبعيدة عن الصرامة والدقة[٤].

أولًا: الحجج شبه المنطقية:

وتستمد هذه الحجج قوتها الإقناعية من شبهها للبرهنة الصورية والمنطقية والرياضية، لكنها تختلف عنها في كونها قابلة للاعتراض. وعلى الرغم من ذلك يمكن تقسيم هذه الحجج قسمين: قسم تعتمد فيه الحجج شبه

(١) انظر: صفوت، أحمد زكي، (د.ت)، جمهرة خطب العرب، د. ط، المكتبة العلمية، بيروت/ لبنان، مج٣/ ص٨ – ١٢، ١٤ – ١٧.

(٢) انظر: ابن عبد ربه الأندلسي، أحمد بن محمد، (١٤٠٤هـ – ١٩٨٣م)، العقد الفريد، تحقيق: د. عبدالمجيد الترحيني، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت/ لبنان، ج٤/ ص ١٨٥.

(٣) انظر: الحسني، سامية الدريدي، دراسات في الحجاج، ص١١٧، ١٢١ – ١٢٢.

(٤) انظر: الدريدي، سامية، (١٤٢٨هـ – ٢٠٠٨م)، الحجاج في الشعر العربي القديم من الجاهلية إلى القرن الثاني للهجرة بنيته وأساليبه، ط١، عالم الكتب الحديث – جدارا للكتاب العالمي، عمّان – إربد/ الأردن، ص١٩٠.

المنطقية على البنى المنطقية كالتناقض، والتماثل التام أو الجزئي، والتعددية، وقسم تستند فيه على العلاقات الرياضية، مثل دمج الجزء في الكل، وتقسيم الكل إلى أجزائه، وعلاقة الأصغر بالأكبر، وعلاقة التواتر...[١].

ومما ينبغي الالتفات له أن صلب العملية الحجاجية يتمثل في تدافع الحجج وتراتبيتها؛ فلا يثبت منها إلا الحجج القوية التي تعضد دعوى الملقي/ المخاطب، وهذا ما يطلق عليه (السلم الحجاجي) الذي يظهر في أبسط صوره فيما يدون عن الإنسان عند كتابة سيرته الذاتية أو لمحات منها[٢]. ويظهر ذلك جليًا في خطب داود بن علي التي كانت تلقى في ظروف سياسية خاصة تظهر لنا حكمته ووعيه؛ فالمقام يستدعي أن يكون الخطاب الموجه للجمهور والنص المنجز خطابًا شفويًا، ونصًا تتواشج فيه الآليات المعبرة عن الوعي والانفعال والحكمة في توجيه الغضب؛ فداود بن علي ينفي التهم الموجهة له ولبني العباس ويدحضها بالبراهين والأدلة؛ فخروجهم على بني أمية لم يكن من أجل الجاه والسلطة والأموال ومتاع الدنيا، وإنما كان أنفة من الظلم والتعدي والغصب والاستذلال والإهانة وأكل الحقوق بالباطل[٣]. ولمعرفة بني العباس بطبيعة الشعوب، وسيرة أهالي المدن التي سيحكمونها، ونوعية الجماهير المخاطبة اعتمدوا سلاح التهديد والبطش بمن تسول له نفسه مخالفتهم أو إثارة الفتن؛ ولذلك حين تطل بوادر لغط قد يؤدي إلى شغب وفتن كانوا يبادرون إلى امتطاء أعنة الخطب؛ فداود بن علي يعتلي المنبر مهددًا حين أظهر قوم شكاتهم من بني العباس؛ فيبرق ويرعد، ويخرج الخبايا، ويذكرهم بماضي آبائهم متوعدًا إياهم، ويدعوهم إلى التفكر والتدبر في وعد الله[٤]. يفعل ذلك لأنه واحد من بني العباس وملكهم ملكه، وحقهم حقه؛ فهو يدافع عن الخليفة السفاح حين أرتج عليه ويسوق الحجج والبراهين[٥]؛ فالمقام مقام دولة

(١) انظر: صولة، عبدالله، (٢٠١١م)، في نظرية الحجاج دراسات وتطبيقات، ط١، مسكيلياني للنشر والتوزيع، تونس، ص٤٢؛ الدريدي، سامية، الحجاج في الشعر العربي القديم، ص١٩١ – ١٩٢؛ كحولي، محمد الناصر، (٢٠١٧م)، الحجاج الخطابي أسسه وتقنياته من خلال "ثمرات الأوراق" لابن حجة الحموي، ط١، دار زينب للنشر والتوزيع، تونس، ص١٣١.

(٢) انظر: الشهري، عبدالهادي بن طاهر، (١٤٣١هـ – ٢٠١٠م)، "آليات الحجاج وأدواته"، بحث منشور ضمن كتاب: الحجاج مفهومه ومجالاته: دراسات نظرية وتطبيقية في البلاغة الجديدة، إعداد وتقديم: حافظ إسماعيلي علوي، ط١، عالم الكتب الحديث، إربد/ الأردن، ج١/ ص٩٥.

(٣) انظر: الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير، (د.ت)، تاريخ الطبري: تاريخ الرسل والملوك، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط٤، دار المعارف، مصر، ج٧/ ص٤٢٦ – ٤٢٧؛ صفوت، أحمد زكي، جمهرة خطب العرب، مج٣/ ص٩.

(٤) انظر: العلوي، السيد جعفر بن السيد محمد البيتي، (١٣٢٦هـ)، كتاب مواسم الأدب وآثار العجم والعرب، ط١، مطبعة السعادة، مصر، ج٢/ ص١١٤؛ صفوت، أحمد زكي، جمهرة خطب العرب، مج٣/ ص١٦.

(٥) انظر: ابن قتيبة، أبو محمد عبدالله بن مسلم الدينوري، (١٤١٤هـ – ١٩٩٤م)، كتاب عيون الأخبار، تحقيق: د. محمد الأسكندراني، ط١، دار الكتاب العربي، بيروت/ لبنان، مج١/ ص ٦٣٨؛ الشريف المرتضى، علي بن الحسين الموسوي، (د.ت)، آمالي المرتضى: غرر الفوائد ودرر القلائد، د. ط، دار الفكر العربي، القاهرة، مج٢/ص ١٠٣؛ صفوت، أحمد زكي، جمهرة خطب العرب، مج٣/ ص١١ –١٢.

ناشئة، وهو عم الخليفة الذي سانده ويطمح أيضًا إلى مطامع سياسية ستظهر فيما بعد، كما أنه يقف الموقف ذاته مدافعًا عن نفسه حين أرتج عليه في إحدى الخطب(١).

كل ما سبق ذكره وما لم يذكر – في خطب أخرى لها مناسباتها ومقاماتها التي ترتبط بداود بن علي وبولايته وتقلده بعض المناصب – يحمل تراتبية في الحجاج وتدرج؛ لإثارة المتلقي ومن ثَمَّ إقناعه؛ فتلاحق الحجج وتتابعها وفق نظام معين يدرج الحجة ويردفها بحجة أقوى منها تلزم المتلقي بالتسليم بعد أن تملكت عقله وجذبته تجاه الملقي.

ومن أقوى الحجج الاتصالية والبراهين شبه المنطقية المستخدمة لدعم الآراء الشواهد الجاهزة التي يستند إليها الملقي؛ ليدحض حجة خصم أو يجيب على ما ورد منه، وقبل ذلك ليثبت أفكاره(٢)، ويقوي درجة التصديق والحضور في الذهن(٣). وقد تنوع الشاهد بين القرآن والمثل بصورة مباشرة أو غير مباشرة، وللقرآن النصيب الأكبر؛ ولا غرابة في ذلك فهو أعلى وسائل الاستشهاد للمسلمين، كما أن الخطاب السياسي يستدعيه؛ ليخترق به وجدان المتلقي وعقله؛ ليضمن تصديقه وإذعانه، ويوجز في سوق ضمانات التأييد والتصديق(٤). ومن هذه الشواهد القرآنية الواردة في خطب داود بن علي بنصها الصريح قوله(٥): ﴿ فَبُعْدًا لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾(٦)؛ وقوله في خطبته بالمدينة(٧): ﴿ كَلَّاۖ بَلۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ﴾(٨).

هذا إلى جانب الإشارات القرآنية التي زخرت بها خطبه؛ فعباراته تشير إلى آيات قرآنية كثيرة تحمل دلالات واضحة، ويستحضر معها الذهن مباشرة الشاهد الجاهز الذي تعنيه. وفي ذلك تدعيم لآرائه وقوة حجاجية لا يستهان بها. ويأتي الشعر في مرتبة عليا في السلم الحجاجي؛ من حيث كونه قوة حجاجية فعالة في الترجيح، وقطع

(١) انظر: العسكري، أبو هلال الحسين بن عبدالله، (١٤٠٩هـ – ١٩٨٩م)، كتاب الصناعتين الكتابة والنثر، تحقيق وضبط: د. مفيد قميحة، ط٢، دار الكتب العلمية، بيروت/ لبنان، ص٣١ – ٣٢؛ صفوت، أحمد زكي، جمهرة خطب العرب، مج ٣/ ص١٧.

(٢) انظر: ناعيم، مليكة، (١٤٣٧هـ – ٢٠١٦م)، "المقصد الحجاجي في النقد النحوي قراءة في نص لأبي حيان الغرناطي"، بحث منشور ضمن كتاب: التحليل الحجاجي للخطاب، إشراف وتقديم: د. أحمد قادم و د. سعيد العوادي، ط١، كنوز المعرفة، عمّان/ الأردن، ص٧٢٤.

(٣) انظر: صولة، عبدالله، في نظرية الحجاج، ص٥٥.

(٤) انظر: عادل، عبداللطيف، "الحجاج في الخطاب السياسي"، بحث منشور ضمن كتاب: التحليل الحجاجي للخطاب، ص٢٩٠.

(٥) الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الطبري، ج٧/ ص٤٢٧.

(٦) سورة المؤمنون، آية: ٤١.

(٧) ابن عبدربه، أحمد بن محمد، العقد الفريد، ج٤/ ص١٨٨.

(٨) سورة المطففين، آية: ١٤.

الشغب، وفي تحقيق العدالة، وإيقاع التصديق[١]. ويلحظ أن داود بن علي لم يلجأ إلى الشعر إلا في الخطبة التي خطبها في المدينة؛ حيث استشهد ببيتين للمهلهل بن ربيعة[٢] ختم بهما خطبته؛ فقال[٣]:

حتى يُبيد قبيلة فقبيلة ويَعَضّ كل مثقف بالهام

ويقمن ربات الخدور حواسرًا يمسحن عرض ذوائب الأيتام

ويستند داود بن علي في خطبه إلى الأمثال التي هي بمثابة السلطة المرجعية التي تمكن الخطيب من إقناع الجمهور وانتزاع تأييده، من مثل قوله: "وأخذ القوس باريها، وعاد السهم إلى النزعة، ورجع الحق إلى نصابه"[٤]؛ فهو يشير إلى الأمثال العربية: "أعط القوس باريها"، و "عاد السهم إلى النزعة"، و "عاد الأمر إلى نصابه"[٥].

مما تقدم نلحظ أن الشواهد القرآنية والشعرية والأمثال – على قلتها – شكلت قوة حجاجية إلى جانب الإشارات القرآنية الكثيرة التي احتوتها الخطب، ولا عجب فالخطيب عربي فصيح من بيت النبوة، وله أهداف محددة يسعى لها، ويعززها بكل ما هو إسلامي وعربي.

ويأتي التناقض وعدم الاتفاق كحجة شبه منطقية تعتمد على البنى المنطقية في خطب داود، وهذا النوع من الخطاب قليل في خطبه، كما أن التناقض نادر في الحجاج وليس من صميمه، وما يهتم به الحجاج هو عدم الاتفاق في الأطروحة التي يتناولها[٦].

وفي خطبة داود التي خطبها في بدايات قيام الدولة موضحًا فيها أسباب خروجهم على بني أمية، ومبينًا سياستهم في الناس، وموازنًا بين السياسة الأموية والعباسية، يبين التناقض الذي وقع فيه الأمويون، وكيف أن سياستهم جاءت خلاف ما يتوقع من دولة مسلمة قريبة عهد بالنبوة والصحابة؛ فلم تتفق أفعالهم مع أقوالهم وخالفوا ما ينبغي أن تكون عليه أية خلافة إسلامية، وهي حجج متلاحقة تضفي الشرعية على الخلافة العباسية وتنزعها من الأموية، يقول: "تبًّا تبًّا لبني حرب بن أمية وبني مروان، آثروا في مدتهم وعصرهم العاجلة على الآجلة، والدار الفانية على الدار الباقية، فركبوا الآثام، وظلموا الأنام، وانتهكوا المحارم، وغشوا الجرائم، وجاروا في سيرتهم في العباد، وسنتهم في البلاد، التي استلذوا بها تسربل الأوزار، وتجلبب الآصار، ومرحوا في أعنة المعاصي، وركضوا في

(١) انظر: عادل، عبداللطيف، (١٤٣٤هـ – ٢٠١٣م)، بلاغة الإقناع في المناظرة، ط١، منشورات ضفاف– منشورات الاختلاف – دار الأمان، بيروت / لبنان – الجزائر العاصمة / الجزائر – الرباط / المغرب، ص٢٣٤، ٢٣٩.

(٢) انظر مع اختلاف يسير في البيتين: الأصمعي، أبو سعيد عبدالملك بن قريب، (د.ت)، الأصمعيات، تحقيق وشرح: أحمد محمد شاكر وعبدالسلام محمد هارون، ط٥، د.م، بيروت/ لبنان، ص١٥٦.

(٣) ابن عبدربه، أحمد بن محمد، العقد الفريد، ج٤/ ص١٨٨؛ صفوت، أحمد زكي، جمهرة خطب العرب، مج٣/ ص١٥.

(٤) الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الطبري، ج٧ / ص ٤٢٦؛ صفوت، أحمد زكي، جمهرة خطب العرب، مج٣ / ص٩.

(٥) الميداني، أبو الفضل أحمد بن محمد، (١٤٣٧هـ – ٢٠١٦م)، مجمع الأمثال، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، (د.ط)، المكتبة العصرية، صيدا – بيروت/ لبنان، ج٢/ ص٢٨٤ – ٢٨٥، ٣٠٩.

(٦) انظر: الدريدي، سامية، الحجاج في الشعر العربي القديم، ص١٩٢.

ميادين الغي، جهلا باستدراج الله، وأمنا لمكر الله، فأتاهم بأس الله بياتًا وهم نائمون، فأصبحوا أحاديث ومزقوا كل ممزق، فبعدًا للقوم الظالمين، وأدالنا الله من مروان ..."[١]. فداود يسوق في خطبته الأسباب ونتائجها، ويصنع التناقض الذي يريده وعدم الاتفاق؛ ليبرر موقفهم وفعلتهم. ويدعم ذلك باعتماده على الحجج القائمة على قاعدة العدل والعلاقة التبادلية التي أتت لنا بحالتين متشابهتين/ خليفتين من دولتين، ثم تم التعديل والتبادل الذي نمّ عن جوهر الاعتراض الذي سيقت الحجج من أجله، يقول داود: "فقد أبدلكم الله بمروان عدو الرحمن، وخليفة الشيطان، المتبع للسفلة الذين أفسدوا في الأرض بعد إصلاحها، بإبدال الدين، وانتهاك حريم المسلمين، الشاب المتكهل المتمهل، المقتدي بسلفه الأبرار الأخيار، الذين أصلحوا الأرض بعد فسادها بمعالم الهدى، ومناهج التقوى"[٢].

وتتيح حجج التقسيم طاقة حجاجية نابعة من الاستقصاء والإحاطة والحصر؛ فتقسيم الكل إلى أجزاء، وتفصيل المجموع، يعمل على تقويته واستحضاره في الذهن، كقوله: "فظن عدو الله أن لن نقدر عليه، فنادى حزبه، وجمع مكايده، ورمى بكتائبه، فوجد أمامه ووراءه، وعن يمينه وشماله، من مكر الله وبأسه ونقمته، ما أمات باطله، ومحق ضلاله، وجعل دائرة السوء به، وأحيا شرفنا وعزنا، وردّ إلينا حقنا وإرثنا"[٣]. ولا يمكن للحجاج أن يستغني عن حجج المقارنة التي "تقوم على الاحتجاج لشيء أو لشخص أو لقيمة أو لرأي.... باعتماد أفضليته على طرف ثان من جنسه أو قبيلته"[٤]؛ فداود بن علي يقارن بين حال مروان وحالهم في الحرب الدائرة بين الأمويين والعباسيين؛ فنسب الغي والضلال والباطل لمروان وجيشه، وإثبات هذا الأمر للأمويين يستدعي نفيه عن داود والعباسيين الذين ردّ الله لهم حقهم وإرثهم، وأحيا عزهم وشرفهم بعد أن دارت الدائرة بمروان وقومه[٥]. ولا يكتفي داود بهذا بل يقارن بين حالهم قبل قيام دولتهم وبعدها؛ فيقول: "يا أهل الكوفة: إنا والله ما زلنا مظلومين مقهورين على حقنا، حتى أتاح الله لنا شيعتنا أهل خراسان، فأحيا بهم حقنا، وأفلج بهم حجتنا، وأظهر بهم دولتنا، وأراكم الله ما كنتم تنتظرون، وإليه تتشوفون، فأظهر فيكم الخليفة من هاشم وبيض به وجوهكم، وأدالكم على أهل الشام، ونقل إليكم السلطان وعز الإسلام، ومنّ عليكم بإمام منحه العدالة، وأعطاه حسن الإيالة"[٦]. وفي الخطبة التي خطبها فيمن أظهر الشكاة من بني العباس ذكرهم بحالهم السابق قبل أن يكرمهم أمير المؤمنين؛ فيقابلوا كل ذلك بالغدر واللؤم؛ "... كيف قامت شفاهكم بالشكوى لأمير المؤمنين بعد أن حانت آجالكم فأرجأها،

(١) الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الطبري، ج٧ / ص٤٢٧؛ صفوت، أحمد زكي، جمهرة خطب العرب، مج٣ / ص٩.

(٢) الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الطبري، ج٧ / ص٤٢٧؛ صفوت، أحمد زكي، جمهرة خطب العرب، مج٣ / ص ١٠.

(٣) الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الطبري، ج٧ / ص٤٢٧ – ٤٢٨؛ صفوت، أحمد زكي، جمهرة خطب العرب، مج٣/ ص٩ – ١٠.

(٤) الحسني، سامية الدريدي، دراسات في الحجاج، ص ١٢٣.

(٥) انظر: الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الطبري، ج٧ / ص٤٢٧؛ صفوت، أحمد زكي، جمهرة خطب العرب، مج٣ / ص١٠.

(٦) الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الطبري، ج٧ / ص٤٢٧ – ٤٢٨.

وانبعثت دماؤكم فحقنها؟"[١]. وهذا النوع من الحجج شبه المنطقية كان هو الغالب؛ ولعل هذا يعود إلى فاعليتها وقدرتها على الاستحواذ على الجمهور خاصة في خطاب شفوي.

ثانيًا: الحجج المؤسسة على بنية الواقع:

وهي حجج توظف الحجج شبه المنطقية لتربط بين أحكام مسلم بها وأخرى يعمل الخطاب على تأسيسها وتوطيدها وجعلها مقبولة ومسلم بها؛ وذلك عن طريق جعل الأحكام المسلم بها وغير المسلم بها عناصر تنتمي إلى كل ما يجمع بينها؛ فلا يمكن التسليم بأحدها دون الآخر. والحجج المؤسسة على بنية الواقع ترتكز على عرض الآراء المتعلقة به، وهي آراء قد تكون وقائع أو حقائق أو افتراضات[٢]. وبالعودة إلى خطب داود بن علي نجد فيها مجموعة من تلك الحجج؛ أولها الحجج القائمة على التتابع وبالأخص الحجة السببية والحجة البرغماتية النفعية؛ ففي خطبه نستطيع أن نجد تتابعًا ثابتًا للحدث يمكن أن يؤسس عليه الحجاج ويقود إلى رابط سببي يصلها ببعضها، ويكون المرور فيه: من السبب إلى النتيجة، ومن النتيجة إلى السبب[٣]. ومن أمثلة ذلك قول داود: "إنا والله ما خرجنا في طلب هذا الأمر لنكثر لجينًا ولا عقيانًا، ولا نحفر نهرًا، ولا نبني قصرًا، وإنما أخرجنا الآنفة من ابتزازهم حقنا، والغضب لبني عمنا، وما كرثنا من أموركم، وبهظنا من شؤونكم"[٤]؛ فداود هنا يبرر سبب خروج العباسيين على الأمويين، ويدعم موقفهم بوصف الحال التي كانوا عليها؛ فخروجهم ما هو إلا نتيجة لأسباب ذكرها ونفى بها الطمع وأمور الدنيا، خروجهم كان نصرة للشعب ورفع الظلم الواقع عليه ودفعه. وهذه الحجة السببية تقودنا إلى حجة أخرى تتكئ على التقويم للعمل أو الحدث وما يتبعه من نتائج إيجابية أو سلبية، تلك هي الحجة النفعية البرغماتية[٥] التي تمثلت في قول داود: "ولقد كانت أموركم ترمضنا ونحن على فرشنا، ويشتد علينا سوء سيرة بني أمية فيكم، وخرقهم بكم، واستذلالهم لكم، واستئثارهم بفيئكم وصدقاتكم ومغانمكم عليكم"[٦]؛ فداود هنا يعمد إلى تقويم خروجهم على بني أمية محاولًا القضاء على أي ردة فعل مشككة وإبطالها؛ فيعمد إلى سوق حجج متتالية تبرر سبب الخروج في كونه غاية لتحقيق العدالة والانتفاض على الظلم، وهذا في حد ذاته سبب لا يمكن للمتلقي أن يدفعه؛ فهو يقود إلى نتيجة وحقيقة ذات قيمة منشودة نهضت بالخطاب وأكدت قوة الحجة وأبعادها العميقة.

---

(١) العلوي، السيد جعفر البيتي، كتاب مواسم الأدب، ج٢/ ص ١١٥؛ صفوت، أحمد زكي، جمهرة خطب العرب، مج ٣/ ص١٦.

(٢) انظر: صولة، عبدالله، في نظرية الحجاج، ص٤٩.

(٣) انظر: المصدر السابق، ص٥٠.

(٤) الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الطبري، ج٧/ ص٤٢٦؛ صفوت، أحمد زكي، جمهرة خطب العرب، مج٣/ ص٩.

(٥) انظر: كحولي، محمد الناصر، الحجاج الخطابي، ص١٤٤.

(٦) الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الطبري، ج٧/ ص٤٢٦ – ٤٢٧؛ صفوت، أحمد زكي، جمهرة خطب العرب، مج٣/ ص٩.

ومن الحجج المؤسسة على بنية الواقع ما يتعلق بالاتصال التعايشي أو التواجدي الذي يرتكز على ربط واقعتين متفاوتتي المستوى؛ إذ إن إحداهما أعمق من الثانية وأكثر تجليًا منها(١)؛ ومن مظاهرها علاقة الذات بصفاتها أو الشخص بأفعاله؛ فالإنسان لا يتجزأ عن أعماله؛ إذ يحكم عليه من خلالها؛ نظرًا لكونها من تجلياته، هذا إلى جانب تفسير ما يغمض من تلك الأعمال بالاستناد إلى الشخص ذاته أو ما انتشر عنه بين الناس(٢)؛ فالإنسان في الحجاج يكون موضوعًا للتقويم من الآخرين وفق صفاته وما يتعلق به من الأعمال والأحكام(٣). ومن حجج التعايش والتواجد المتعلقة بالشخص وأعماله قول داود: "وأدالنا الله من مروان، وقد غرّه بالله الغرور"(٤)؛ فمروان – من وجهة نظر داود – قد انخدع وغرر به الشيطان، وتملكته المعاصي وزينة الدنيا وشهواتها؛ فانتقل من حال إلى حال، وزال سلطانه، وانقضى زمانه؛ فتحول صفات الشخص وأفعاله نتج عنها ذلك التفسير لما حدث. ومن ذلك أيضًا: "أيها الناس، إن أمير المؤمنين – نصره الله نصرًا عزيزًا – إنما عاد إلى المنبر بعد الصلاة، أنه كره أن يخلط بكلام الجمعة غيره، وإنما قطعه عن استتمام الكلام بعد أن اسحنفر فيه شدة الوعك"(٥)؛ فداود هنا كسر شك الجمهور عن طريق تذكيرهم بمن هو السفاح وما يعرفونه عنه من بلاغة وفصاحة، لكن عرض طارئ هو الذي حوّله عن الأصل مؤقتًا؛ فقد كان محمومًا. ومثل ذلك قوله: "أيها الناس، إن أمير المؤمنين يكره أن يتقدم قوله فعله..."(٦)؛ فهو قد قدم هذه الحجة حين أرتج على السفاح في أول خلافته؛ فقدم حجة من أعمال الشخص وصفاته. وفي السياق ذاته المتعلق بالشخص وأعماله تأتي حجة مهمة ترتبط بالهيبة والسطوة والنفوذ وهي حجة السلطة التي تكون – في الغالب – مكملة لحجاج غني بغيرها من الحجج ومثرية له، وليست وحيدة فيه(٧). وهذا النوع من الحجج التي غلفت خطب داود بن علي بصورة واضحة تمتاز بكونها حججًا ذات طاقة حجاجية بارزة تستند إلى منطقة المسلم أو المشترك بين القائل والمقول له، وإلى كل ما هو محل إجماع على إمامته(٨)؛ فداود بن علي لكي يضمن انقياد أهالي العراق للعباسيين وظف حجة السلطة بعد حجج أخرى أتى بها قبلها؛ وذلك ليدعمها، ويكسب ولاءهم، ويسيطر على قلوبهم وعقولهم؛ فلا سلطة أقوى من ذلك، ومن ذا الذي يعترض على ما قدم له من ضمان؟ يقول: "لكم ذمة الله تبارك وتعالى وذمة رسوله صلى الله عليه وآله وذمة العباس رحمه الله أن نحكم فيكم بما أنزل الله، ونعمل فيكم بكتاب الله، ونسير في العامة منكم والخاصة بسيرة رسول الله صلى الله عليه

(١) انظر: كحولي، محمد الناصر، الحجاج الخطابي، ص١٥٠.

(٢) انظر: المصدر السابق، ص١٥٠.

(٣) انظر: صولة، عبدالله، في نظرية الحجاج، ص٥١.

(٤) الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الطبري، ج٧/ ص٤٢٧؛ صفوت، أحمد زكي، جمهرة خطب العرب، مج٣/ ص٩.

(٥) الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الطبري، ج٧/ ص ٤٢٧؛ صفوت، أحمد زكي، جمهرة خطب العرب، مج٣/ ص١٠.

(٦) ابن قتيبة، عبدالله بن مسلم، كتاب عيون الأخبار، مج١/ ص٦٣٨؛ صفوت، أحمد زكي، جمهرة خطب العرب، مج٣/ ص١١.

(٧) انظر: صولة، عبدالله، في نظرية الحجاج، ص٥٢ – ٥٣.

(٨) انظر: كحولي، محمد الناصر، الحجاج الخطابي، ص١٥٤.

وسلم"[١]. وفي خطبة أخرى نجد أن الخطاب الحجاجي خطابان حجاجيان؛ إذ تساوى دواد مع جمهوره من المتمردين؛ فمن يخرج عن السلطة وينتقدها لا شك أنه يملك صفات معينة، ولا ننسى أن كليهما متمرد وخارج وفق منطق معين؛ فهما متماثلان ومتساويان، لكن سرعان ما ينتقل الحجاج إلى منطقة أعمق تعتمد التراتبية والمفاضلة والتبعية؛ لذا فعلى متلقي الحجاج الإذعان لذوي السلطة؛ يقول: "أغدرًا يا أهل الختر والتبديل؟ ألم يردعكم الفتح المبين، عن الخوض في دم أمير المؤمنين؟ كلا والله حتى تحملوا أوزاركم وأوزار الذين كانوا من قبلكم ..."[٢].

ثالثًا: الحجج المؤسسة لبنية الواقع:

ومن أبرز أنواعه التي ظهرت في خطب داود بن علي الاستدلال بواسطة التمثيل؛ فهو يعد من عوامل الخلق والإبداع، كما أنه ذو قيمة حجاجية؛ لكونه أداة برهنة[٣]؛ فلم تعد الصورة تركز على الوظيفة الإمتاعية فقط وإنما ينظر إلى ما هو أبعد من ذلك؛ فكل هذه المحسنات التي غلفتها ما هي إلا مقومات حجاجية تهدف إلى الإقناع[٤]؛ فالمجاز والصور البيانية (فن إيصال) لا تكفي وحدها لتحقيق التدليل والتصديق ما لم تكن مستندة إلى أدوات ترجح الرأي وتسوغه عقليًا (الحجاج/ المحاجة)[٥].

ولو تأملنا خطب داود بن علي نجد أنها قد زخرت بهذه الحجة وتميزت بها؛ فنجد التمثيل حاضرًا بصوره المختلفة من تشبيه واستعارة وكناية؛ فقد وفق داود في توظيف صوره التي أدت ما يراد منها من إمتاع وإقناع، فها هو يقف خطيبًا بعد ابن أخيه (السفاح) في يوم مبايعته ويشكر الله سبحانه أن انتهى عهد ظلم الأمويين؛ فانقشع الظلام وأشرقت الأرض وتطهرت بعد أن غطتها الآثام، ومرح الأمويون وسرحوا فيها، وارتكبوا المعاصي والأوزار؛ فحمدًا لله الذي أحيا شرفهم وعزهم وأعاد حقهم. وداود في كل هذا يركز على الصورة الاستعارية؛ فيقرب الحالات الذهنية ويشخصها في صور مادية محسوسة، فمن الاستعارات في تلك الخطبة قوله: "الآن أقشعت حنادس الدنيا، وانكشف غطاؤها، وأشرقت أرضها وسماؤها"، "فركبوا الآثام ... التي بها استلذوا تسربل الأوزار، وتجلبب الآصار،

(١) الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الطبري، ج٧/ ص٤٢٧.

(٢) العلوي، السيد جعفر البيتي، كتاب مواسم الأدب، ج٢/ ص١١٤ – ١١٥؛ صفوت، أحمد زكي، جمهرة خطب العرب، مج٣/ ص١٦.

(٣) انظر: صولة، عبدالله، في نظرية الحجاج، ص٥٦.

(٤) انظر: كمال، الزماني، "حجاجية الصورة البلاغية في الخطابة السياسية لدى الإمام علي رضي الله عنه"، بحث منشور ضمن كتاب: التحليل الحجاجي للخطاب، ص٤٦٥.

(٥) انظر: أعراب، حبيب، (٢٠٠١م)، "الحجاج والاستدلال الحجاجي: عناصر استقصاء نظري"، عالم الفكر، الكويت، مج٣٠/ ع١ / (يوليو – سبتمبر) / ص١١٥.

ومرحوا في أعنة المعاصي، وركضوا في ميادين الغي"، "وأحيا شرفنا وعزنا"، "فأحيا بهم حقنا"(١). ويستمر في توظيف الصورة الاستعارية في خطبة أخرى أرتج عليه فيها وهو الفصيح البليغ والخطيب المصقع؛ فيقرب إليهم ما يريده بصوره الاستعارية التي يرمي من خلالها تذكيرهم واستمالتهم وإقناعهم؛ فيقول: "وقد يعزب البيان، ويعتقم الصواب... ونحن بعد أمراء القول، فينا وشجت أعراقه، وعلينا عطفت أغصانه، ولنا تهدلت ثمرته"(٢).

ويأتي التشبيه في خطب داود بن علي في رتبة أقل من الاستعارة، لكن لا غنى له عنه في التأثير على المتلقي وتقريب المعنى له؛ فنجده يوظف التشبيه المرسل حين أرتج عليه؛ ليذكر المتلقين بفصاحته وبيانه وقوة حجته، كما أنه يرمي من وراء ذلك إلى ما هو أبعد؛ فكلامه أشبه باليقين الذي لا تعترضه أية حجة أو إدعاء؛ فهو يمتلك حق المحاجة كما يمتلك حجج الأحقية التي تؤهله لميراث الخلافة(٣)؛ يقول: "وإنما الكلام بعد الإفحام، كالإشراق بعد الإظلام"(٤). وفي حديثه عن زوال خلافة بني أمية، وسرده لأفعالهم، وكيف أنهم أصبحوا أحاديث على يد بني العباس، يوظف داود التشبيه البليغ الذي يتضافر مع التناص من القرآن الكريم وفي ذلك قوة حجاجية وحمولة عقلية وطاقة جمالية؛ يقول: "فأتاهم بأس الله بياتًا وهم نائمون؛ فأصبحوا أحاديث، ومزقوا كل ممزق، فبعدًا للقوم الظالمين"(٥). وتحضر الكناية في خطب داود بن علي لكنها قليلة؛ ولعل ذلك يعود إلى "أن الخطيب في وضع لا يسمح له بالإكثار من الكناية؛ فهو الخطيب الرسمي للبلاط العباسي، ويريد إقناع الناس بأوضح الألفاظ وأسهل التعابير البيانية"(٦). ومن الكنايات التي تحمل معنى التعريض والتهديد وتشير إلى صفات ملازمة للمتلقين قوله: "أغدرًا يا أهل الختر والتبديل؟ ... يا منابت الدمن، مشيتم الضراء، ودببتم الخمر... مهلًا يا روايا الإرجاف، وأبناء النفاق"(٧). وفي خطبة أخرى يتوعد بها أهل الإرجاف والشقاق يقول وهو ممسك بقائم سيفه: "إن بكم داء هذا دواؤه، وأنا زعيم بشفائه"(٨). وبهذا نجد أن المجاز بأنواعه استعارة وتشبيه وكناية... قد حقق الوظيفة الإقناعية؛

(١) انظر: الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الطبري، ج٧/ ص٤٢٦ – ٤٢٧؛ صفوت، أحمد زكي، جمهرة خطب العرب، مج٣/ ص٨ – ١٠.

(٢) العسكري، أبو هلال الحسين بن عبدالله، كتاب الصناعتين، ص٣٢.

(٣) العرباوي، محسن علي حسين، (١٤٤٣هـ – ٢٠٢٢م)، "لغة السرد في خطب داود بن علي: دراسة تحليلية"، مجلة الدراسات المستدامة – الجمعية العلمية للدراسات التربوية المستدامة، مج٤/ ع٢/ملحق٢/ ص٥٦٤.

(٤) العسكري، أبو هلال الحسين بن عبدالله، كتاب الصناعتين، ص٣١ – ٣٢؛ صفوت، أحمد زكي، جمهرة خطب العرب، مج٣/ ص١٧.

(٥) الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الطبري، ج٧/ ص٤٢٧؛ صفوت، أحمد زكي، جمهرة خطب العرب، مج٣/ ص٩.

(٦) العرباوي، محسن علي، "لغة السرد في خطب داود بن علي"، مج٤/ ع٢/ ملحق٢/ ص٥٦٥.

(٧) العلوي، السيد جعفر البيتي، كتاب مواسم الأدب، ج٢/ ١١٤ – ١١٥.

(٨) ابن قتيبة، عبدالله بن مسلم، كتاب عيون الأخبار، مج١/ ص٦٣٨؛ صفوت، أحمد زكي، جمهرة خطب العرب، مج٣/ ص١٥.

فجسد المعاني وجعلها مشاهدة مرئية بل حاضرة بقوة في ذهن المتلقي(١)؛ فاعتماد التمثيل في الحجاج يؤكد هذا القول: "وإن كان حجاجًا كان برهانه أنور، وسلطانه أقهر، وبيانه أبهر"(٢).

وقبل أن نترك هذا المبحث تجدر الإشارة إلى حجج ظهرت في خطب داود وهي الحجج التي تستدعي القيم وتتكئ عليها؛ فالخطيب المحتج يحاول استهداف العوالم الفكرية والشعورية للمتلقي عن طريق اختيار قيمة أو مجموعة قيم يركز عليها في حجاجه؛ لأنها ترمي إلى تحقيق غاياته وتتفق مع أهدافه، وفي خطب داود بن علي نلحظ أنه ركز على قيم العدل والحق ورفع الظلم والضرب على أيدي الظالمين واستعادة الحقوق. ومن الحجج التي وظفت في الخطب – بصورة أقل – الحجج التي تستدعي المشترك الذي "يشكل موضوع اتفاق بين المتلقين أو يمثل جملة من المعارف المشتركة الشائعة بينهم"(٣)؛ ومن ذلك ما قاله في إحدى خطبه: "... اتعظ امرؤ بغيره، اعتبر عاقل قبل أن يعتبر به؛ فأمسك الفضل من قوله، وقدم الفضل من عمله"(٤).

المبحث الثاني: أساليب الحجاج في خطب داود بن علي:

الحجاج عملية ترتكز على الإقناع في الخطاب – مهما كان نوعه –؛ فالملقي لديه موضوع يحمل مجموعة من المعاني والأفكار التي يريد أن يتلفظ بها، وينقلها إلى المتلقي الذي من المفترض أن يتقبلها ويستوعبها ومن ثَمَّ يتأثر بها، وينقاد ويسلم؛ لذلك نجد أن الملقي يحتاج إلى أفانين وروافد وتقنيات أسلوبية خاصة تعضد حججه وتدعم ما بينها من علاقات؛ لذا سيركز هذا المبحث على الأساليب التي لجأ إليها الخطيب داود بن علي؛ لحمل جمهوره ومتلقيه على التسليم والإذعان، وسنركز على أمرين اثنين: الأول ما يتصل بالمكونات اللغوية، والثاني ما يتعلق بترتيب أجزاء الخطاب.

أولًا: المكون اللغوي:

وفيه يركز على ملفوظات الخطيب، وأثر اختياراته اللغوية على خطابه الذي تحول من مجرد خطاب عادي هدفه الإبلاغ إلى خطاب خاص وظيفته الحجاج؛ فالخطيب هنا واع لما ينتقي ويختار من ألفاظ وتراكيب (والانتقاء في حد ذاته قانون حجاجي عام) تدعم خطابه وقضاياه المتبناة. ومن هنا سنقف عند أبرز ما ظهر في خطبه من مكونات لغوية دعمت الحجاج، وعملت على تقويته، ومنها: حسن اختياره للألفاظ ووضعها في أماكنها المناسبة لغاية حجاجية؛ فالمتأمل في خطب داود بن علي يجد أن الألفاظ فيها منتقاة بدقة متناهية؛ لترفد الحجاج المقصود في خطبه؛ فعلى سبيل المثال نجد أن الألفاظ ذات المسحة الدينية شغلت مساحة واسعة في خطبه وكان أكثرها يتناص مع القرآن الكريم وفي ذلك ما فيه من إضفاء الصيغة الشرعية على خلافة بني العباس. ونجده كذلك يلجأ

(١) انظر: صولة، عبدالله، (٢٠٠٧م)، الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية، ط٢، دار الفارابي، بيروت/ لبنان، ص٤٩٢.

(٢) الجرجاني، عبدالقاهر، (١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م)، كتاب أسرار البلاغة، تحقيق: هـ. ريتر، ط٢، مكتبة المتنبي، القاهرة، ص١٠٢.

(٣) الدريدي، سامية، الحجاج في الشعر العربي القديم، ص٢٨٧.

(٤) ابن قتيبة، عبدالله بن مسلم، كتاب عيون الأخبار، مج١/ ص٦٣٨؛ صفوت، أحمد زكي، جمهرة خطب العرب، مج٣/ ص١٥.

إلى الألفاظ السياسية التي تتعلق بأحقيتهم بالخلافة والسلطة، وبما أن داود هو الخطيب الرسمي للعباسيين؛ فإنه لا يألو جهدًا في إثبات أنهم أصحاب حق، وأن الأمويين مغتصبون له. ويقوي ذلك ويرفده تركيزه على ذكر أسماء الأعلام والإشارة إليهم صراحة أو تكنية أو رتبة ومكانة وفي ذلك ما فيه من قوة حجاجية ورافد إقناعي؛ فهو يذكر النبي صلى الله عليه وسلم، والعباس، وعلي بن أبي طالب رضي الله عنهما، وأمير المؤمنين عبدالله بن محمد (السفاح)، وبني أمية، وبني مروان، ومروان بن محمد، وعيسى بن مريم عليه السلام. والإنسان ابن بيئته، وللبيئة تأثير لا ينكر عليه؛ لذا يحشد داود بن علي مجموعة من الألفاظ المرتبطة بالبيئة العربية (الجزيرة، العراق، الشام) ويوظفها توظيفًا جيدًا فيما هو بصدده؛ فيذكر الشمس والقمر، والنهر، والقصر، والأرض والسماء، والقوس والسهم والسيف والسوط... إلخ. ولا يقف الأمر عند اختيار الألفاظ وإنما نجد داود بن علي يركز كذلك على الصيغ والأبنية؛ فيحضر بعضها بكثافة، مثل: صيغة الجمع التي تقوي بعض أنواع الحجج. ولا ينحصر الأمر في ذلك الانتقاء الذي يركز على المعجم بألفاظه وصيغه، وإنما يتعداه إلى انتقاء التراكيب والروابط النحوية والبلاغية والإيقاعية التي خدمت المعاني وأوصلتها مشحونة بطاقة حجاجية وقوة إقناعية جذبت المتلقي ولفتت انتباهه، وجعلته يسلم بما يقال، من مثل: النداء، والتوكيد، والنفي، والاستدراك، والاستفهام، والقسم، والأمر، والنهي، والسجع، والجناس، والطباق، والمقابلة، والتوازي، وقبل ذلك أمور ثلاثة سنتناولها ونركز عليها كمثال لتلك المكونات، وهي: التكرار، الشرط، والضمائر؛ فالتكرار أو المعاودة أو الترداد يقوم بدور حجاجي في الخطاب؛ إذ يزوده بطاقة مضاعفة تفعل فعلها في المتلقي وتساعده على الفهم، كما أنه ذو صلة قوية بالخطب والخطباء الذين أدركوا قيمته في الكلام وقدرته على الإفهام والتبليغ والكشف(١)، مما يؤدي إلى ترسيخ الفكرة في الأذهان، وتقوية الرأي، وتناسق أجزاء الخطاب وتناغمها، مما يشكل رافدًا إقناعيًا يتكئ عليه الخطيب(٢). والتكرار في خطبه جاء قسمين لفظي ومعنوي؛ فمن اللفظي قوله: "شكرًا شكرًا"(٣)، "شكرًا شكرًا شكرًا"(٤)؛ وذلك حين مكنهم الله من عدوهم وأقام دولتهم؛ فوجب الشكر والحمد وإظهار الامتنان أمام الجمهور، مؤثرًا في مشاعرهم، وصارفًا الأذهان لما سيأتي من حجج تؤكد أحقيتهم بالخلافة؛ فيقلب ظهر المجن ويبرز فضائلهم، ويكشف مساوئ بني أمية ويدعو عليهم بالخسارة والهلاك؛ فيكرر قائلًا: "تبًّا تبًّا"(٥). وتتنوع الألفاظ والعبارات المكررة في خطبه إلا أنها تهدف إلى أمر واحد هو تأكيد حججهم وتقويتها؛ فهم ورثة شرعيون لخلافة رسول الله صلى الله عليه وسلم —كما يرون –؛ لذلك يكرر داود في خطبه قوله: "لكم ذمة الله تبارك وتعالى، وذمة رسوله

(١) انظر: الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر، (١٤٠٥هـ — ١٩٨٥م)، البيان والتبيين، تحقيق وشرح: عبدالسلام محمد هارون، ط٥، مكتبة الخانجي، القاهرة، مج١ / ج١/ ص١٠٤ — ١٠٥.

(٢) انظر: الدريدي، سامية، الحجاج في الشعر العربي القديم، ص١٦٨، ١٧٤.

(٣) الجاحظ، عمرو بن بحر، البيان والتبيين، مج١/ ج١/ ص٣٣٢.

(٤) الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الطبري، ج٧/ ص ٤٢٦؛ صفوت، أحمد زكي، جمهرة خطب العرب، مج٣/ ص٨.

(٥) الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الطبري، ج٧/ ص٤٢٧؛ صفوت، أحمد زكي، جمهرة خطب العرب، مج٣/ ص٩.

صلى الله عليه وآله، وذمة العباس رحمه الله"[١]، "لكم ذمة الله، لكم ذمة رسول الله صلى الله عليه وسلم، لكم ذمة العباس"[٢]. ولتكتمل أطروحة داود حول أحقيتهم وشرعية ملكهم وخلافتهم، واغتصاب بني أمية وظلمهم نجده يعمد إلى التكرار المعنوي؛ فيردد حججه ويعاود تكرار أدلتها بطريقة تعتمد المعاني لا الألفاظ وهو أمر مهم في الخطاب الحجاجي؛ إذ يسهم في تقدمه؛ فتبنى كل حجة على الأخرى وتكون مقدمة لغيرها؛ لأن المتلقي لا يكشفه مباشرة مما يساعد الملقي على المعاودة والإضافة الأمر الذي يطور طاقته الإقناعية في الخطاب.

ومن الأساليب المقوية للحجاج والداعمة له: أسلوب الشرط الذي يساعد على تقييد المعاني؛ لما فيه من تلازم بين طرفيه؛ فحدوث الحدث مرتبط بحدوث حدث آخر، لكنه في واقعه لا يقف عند هذا الحد وإنما له دلالاته التي يلمع إليها الخطيب ويكون الشرط ممهدًا لذكرها والإفصاح عنها، ومن ذلك قول داود: "إن عدتم لمثل ما بدأتم، لأحصدنكم بظبات السيوف،..."[٣]؛ فالارتباط هنا سببي؛ إذ يتحقق الجواب بتحقق الشرط، وينعدم بانعدامه وهي دلالة قريبة أسهمت في لحمة النص، إلى جانب دلالات أعمق يفصح عنها السياق. ويحاجج داود في إحدى الخطب التي أرتج عليه فيها؛ قائلًا: "وإنما اللسان مضغة من الإنسان، يفتر بفتوره إذا نكل، ويثوب بانبساطه إذا ارتجل"[٤]. هنا يضعنا داود أمام خيارات فيما يتعلق بجملة جواب الشرط؛ فهل هي محذوفة يدل عليها ما تقدم أو تقدم الجواب على الفعل؟ وفي الحذف والتقديم والتأخير أقوال للعلماء ومسائل خلاف، ومع ذلك فهناك من أجاز بضوابط كما أن هناك من أجاز دون قيد ومن منع[٥]، ومهما كان الأمر حذف أو تقديم وتأخير؛ ففيهما قلب للتركيب ولنظام الجملة المعتاد وفي ذلك تقنية من تقنيات التأثير ورافد من روافد الإقناع وقوة حجاجية خاصة أن الحذف يقود إلى الإيجاز الذي هو سلاح حجاجي قوي لا يستهان به؛ فالكلام الموجز يخترق الأسماع، ويلج إلى القلوب، وينتشر في الآفاق ويطير ويتواتر.

ونختم حديثنا عن المكون اللغوي بالضمائر ودورها الحجاجي؛ فهي حاضرة بصورة ملفتة في خطب داود وبأصوات متعددة؛ فهناك ضمائر المتكلم، وضمائر المخاطب، وضمائر الغائب، والضمير المتصل، والآخر المستتر. والخطيب هنا يتعامل معها بسلاسة ويتنقل بينها بيسر؛ فقد يكون في حال المتكلم ثم لا يلبث أن يلتفت

(١) الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الطبري، ج٧/ ص٤٢٧.

(٢) صفوت، أحمد زكي، جمهرة خطب العرب، مج٣/ ص١٤.

(٣) العلوي، السيد جعفر البيتي، كتاب مواسم الأدب، ج٢/ ص١١٥.

(٤) العسكري، أبو هلال الحسين بن عبدالله، كتاب الصناعتين، ص٣٢؛ صفوت، أحمد زكي، جمهرة خطب العرب، مج٣/ ص١٧.

(٥) انظر: الأنباري، أبو البركات عبدالرحمن بن محمد، (١٤٠٧هـ – ١٩٨٧م)، الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين، تحقيق: محمد محيي الدين عبدالحميد، د. ط، المكتبة العصرية، صيدا – بيروت، ج٢/ ص٦٢٧ – ٦٣٢؛ حمودة، فتحي بيومي، (١٤٠٦هـ – ١٩٨٥م)، أسلوب الشرط بين النحويين والبلاغيين، د.ط ، دار البيان العربي، جدة، ص١٧٦ – ١٨٠.

إلى المخاطب أو الغائب أو كليهما. هذا الجمع، وتلك المراوحة أكسبت الخطاب طاقة حجاجية قوّت الوظيفة الإقناعية. والشواهد كثر توزعت في كل سطر من أسطر خطبه.

ثانيًا: ترتيب أجزاء الخطاب:

"إن النص الحجاجي بناء لغوي يختلف عن غيره من النصوص؛ لكونه يبنى بناء تفاعليًا مدعومًا بأدوات ووسائل توظف لغرض الإقناع والتأثير؛ ولتحقيق هذا الغرض لا يكفي تحديد الحجج والأدلة (الإيجاد)، بل ينبغي استحضار (الترتيب) باعتباره مرحلة أساسًا في بناء النص الحجاجي"(١). وللخطبة بناؤها الاعتيادي المكون من: الاستهلال (المقدمة)، والعرض (موضوع الخطبة)، والخاتمة. ومعلوم أن الخطب لا تهدف إلى الإمتاع فقط، وإنما ترمي إلى الإقناع؛ لذا فهي تحتاج إلى الأدلة والحجج التي ترتب وفق استراتيجية معينة تتناسب ونوعية الخطاب. ونحن هنا سنركز على الاستهلال والخاتمة؛ لأهميتهما من جانب؛ إذ بهما تفتتح الخطبة وتختتم، ولأن الحجاج في الخطبة بأجزائها قد نوقش فيما سبق بطرائق مختلفة بما في ذلك الاستهلال والخاتمة؛ لذا فمناقشتهما هنا ستتجه إلى: كيف وفق الخطيب في الإفادة منهما، وما الدور الحجاجي الذي لعبتاه؟ أما المقدمة فهي مما لا يستغنى عنه في الخطابة، ولكل خطيب طريقته في الاستهلال، كما أن لكل عصر من العصور نمطه الغالب المؤثر على الخطابة السائدة فيه؛ فالخطابة في العصور السابقة منذ عصر الدعوة إلى العصر العباسي كان لها عرف سائد ومتبع؛ إذ تفتتح بالتحميد والصلاة على النبي – عليه السلام – وكانوا يوجزون فيهما – في الغالب –(٢)؛ ولذا كانت العرب تسمي الخطبة التي لا تستهل بالتحميد والتمجيد (البتراء)، والتي لا توشح بالقرآن، وتزين بالصلاة على النبي الأمين – عليه السلام – (الشوهاء)(٣). وعلى هذا النهج سار داود في خطبته التي أرتج عليه فيها؛ إذ بدأها بحمد الله عز وجل والثناء عليه، والصلاة والسلام على النبي ثم امتنع عليه الكلام...(٤). فداود وهو من هو مكانة وبلاغة وفصاحة وذكاء ينوع في استهلالات خطبه وفق الموقف وطبيعة الجمهور المخاطب، وهو في هذه الخطبة يجذب جمهوره ويستحوذ على سمعه بما هو مألوف لديه؛ فيمتلك مشاعرهم، ويهيئ أذهانهم لما سيقوله بعد ذلك. ويفعل الأمر نفسه في خطب أخرى مع تغيير الصيغة التقليدية للتحميد والصلاة، لكنه يلتزم بالمضمون نفسه؛ فيقول في إحدى خطبه: "الحمدلله، شكرًا شكرًا شكرًا، الذي أهلك عدونا، وأصار إلينا ميراثنا من نبينا محمد صلى الله عليه"(٥)؛ فالحمد والثناء أتى موجزًا ومختلفًا في الصياغة عن المعتاد، والصلاة على النبي لم تكن بصورتها

(١) قادا، عبد العالي، "حجاجية الترتيب والاستراتيجية الحجاجية في رسالة ابن عبدالبر على لسان أهل بربشتر"، بحث منشور ضمن كتاب: "التحليل الحجاجي للخطاب"، ص٤٢٥.

(٢) انظر: الحوفي، أحمد محمد، (د.ت)، فن الخطابة، د.ط، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ص١٢١؛ صالح، محمود عبدالرحيم، (١٤٣٢هـ – ٢٠١١م)، فنون النثر في الأدب العباسي، ط١، دار جرير للنشر والتوزيع، عمّان/ الأردن، ص٢٦.

(٣) انظر: الجاحظ، عمرو بن بحر، البيان والتبيين، مج١/ ج٢/ ص٦.

(٤) انظر: العسكري، أبو هلال الحسين بن عبدالله، كتاب الصناعتين، ص٣١.

(٥) الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الطبري، ج٧/ ص٤٢٦.

المعهودة كما يرد في الخطب وإنما جاءت كتمجيد وثناء أن عاد لهم حقهم وأرثهم. كما أن الأمر اختلف في خطبته في موسم الحج؛ فاقتصر على الشكر فقط: "شكرًا شكرًا"(١)، وفي خطب أخرى حذف التحميد والصلاة وابتدأ بالنداء الذي لا شك أن فيه لفت لانتباه السامعين، وتنبيههم لأهمية ما سيأتي "أيها الناس"(٢)، كما أنه قد لجأ أحيانًا إلى الاستغناء عن الاستهلال والدخول مباشرة في الموضوع، ومثل هذا كان في الخطب التي فيها تهديد ووعيد لمن أظهر الشكاة منهم أو خالفهم أو سولت له نفسه أمرًا(٣)، وهذا الحذف أو الاستغناء عن المقدمة والولوج إلى الموضوع مباشرة فيه رسائل عدة، منها: التقليل من شأن المخاطب الذي لا يستحق أن يوجه له ما يطمئنه مما هو مألوف في خطب الأسلاف، إلى جانب زرع الخوف والهيبة في نفسه؛ لجهله بما سيصدر عن الخطيب الذي اعتلى المنبر في صورة لا تبشر بالخير، كما أن حذف المقدمة (التحميد والصلاة وما قد يتبعها من دعاء وتمجيد) عادة للعباسيين في رسائل التهديد(٤)، ولعلنا نقيس خطب التهديد والوعيد عليها.

ومجمل القول: إن وجود المقدمة – مهما كان نوعها – أو حذفها والابتداء بعرض الموضوع خدم الحجاج وحقق الهدف الأساسي؛ فاستمال وأثر وأقنع.

أما الخاتمة؛ فهي عنوان لنجاح الخطيب؛ فعن طريقها يقطف الثمر المرتجى؛ إذ إنها آخر ما يعلق في ذهنه، ويلج إلى سمعه، وقد تكون ملخصة للأفكار المطروحة في الخطبة، أو مستثيرة للجمهور ومهيجة له، وقد تجمع الأمرين(٥). وباستعراض خطب داود وربطها بما ورد في المقدمات؛ نجد أن الخطب التي افتتحت بالتحميد والتمجيد والصلاة على النبي أو ما شابه أو اقتصرت على أحدهما أو اختصرت جاءت خواتيمها مناسبة لها، ولما ورد في عرضها؛ فكانت الخاتمة بالاستعانة بالله وإنه أفضل معين(٦)، أو بحمد الله على ما أصابهم وما أنعم به عليهم(٧)، أو إعطاء الأمان وبذل الذمم أمام البيت الحرام(٨)، أو بالبشرى بصلاح الدين ورغد العيش(٩). أما التي افتتحت بالنداء الذي لوى الأعناق إلى فحوى الخطبة التي أخذ الخطيب في رفع الصوت بها؛ فإنها ختمت بخاتمة موجزة تحمل تهديدًا مبطنًا ولا مبالاة صريحة بردود أفعالهم: "فليظن ظانكم، وليهمس هامسكم"(١٠)، وختم بعضها بالشعر

(١) الجاحظ، عمرو بن بحر، البيان والتبيين، مج١/ ج١/ ص٣٣٢.

(٢) ابن قتيبة، عبدالله بن مسلم، كتاب عيون الأخبار، مج١/ ص٦٣٨؛ ابن عبدربه، أحمد بن محمد، العقد الفريد، ج٤/ ص١٨٨.

(٣) انظر: ابن قتيبة، عبدالله بن مسلم، كتاب عيون الأخبار، مج١/ ص٦٣٨؛ العلوي، السيد جعفر البيتي، كتاب مواسم الأدب، ج٢/ ص١١٤.

(٤) انظر: صالح، محمود عبدالرحيم، فنون النثر في الأدب العباسي، ص٨٦ – ٨٧.

(٥) انظر: الحوفي، أحمد محمد، فن الخطابة، ص١٣٧.

(٦) انظر: العسكري، أبو هلال الحسين بن عبدالله، كتاب الصناعتين، ص٣٢.

(٧) انظر: الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الطبري، ج٧/ ص٤٢٨.

(٨) انظر: صفوت، أحمد زكي، جمهرة خطب العرب، مج٣/ ص١٤.

(٩) انظر: الشريف المرتضى، علي بن الحسين، أمالي المرتضى، مج٢/ ص١٠٣.

(١٠) ابن قتيبة، عبدالله بن مسلم، كتاب عيون الأخبار، مج١/ ص٦٣٨.

المتناسب مع الاستهلال والعرض[١]. وختمت الخطب التي خلت من المقدمات واستهلت بعرض الموضوع مباشرة بالتهديد والوعيد[٢]، وكشف نواياهم وما تضمره صدورهم، والدعاء عليهم[٣]. وبذلك نجد أن الخاتمة في خطب داود تتميز بالصبغة الانفعالية (مع تنوع الأساليب المتبعة)، وهي خواتيم متنوعة ومتناسبة مع أجزاء الخطبة الأخرى، وداعمة للطاقة الحجاجية فيها الأمر الذي حقق لخطبه الغاية المرجوة من استمالة وإقناع.

خاتمة البحث:

وفي نهاية تطوافنا يمكن القول: إن دراسة هذه المدونة الشفوية من منظور حجاجي تداولي كانت استجابة لرغبات متعددة؛ منها: الكشف عن مقدرة النصوص الأدبية القديمة على ارتياد مناطق جديدة، ومقدرتها على التفاعل مع المقاربات والمناهج والنظريات الحديثة دون تعنت أو ليّ لأعناقها، مع الانتباه لطبيعة تلك النصوص القديمة وما قد تثيره من أسئلة؛ فمدونتنا الأدبية القديمة حبلى، وأرض بكر تنتظر من يرتادها، ويخرج كنوزها. ولعل هذه الدراسة التي قدمتها قد أسهمت في ذلك، وتركت الباب مشرعًا لمن يأتي بعدها من الباحثين، كما تركه لها من سبقها منهم. على أنه قبل المغادرة يجدر بنا أن نورد بعض **النتائج** التي توصلنا إليها:

١- داود بن علي هو الخطيب الرسمي لبني العباس، والمدافع عنهم، والمنقذ للخليفة السفاح حين يمتنع عليه الكلام.

٢- أوجد داود بن علي بنية حجاجية قوية لخطبه التي ألقاها على جمهوره، مستعينًا بآليات حجاجية متنوعة، وأساليب قادرة على الإثارة والتأثير.

٣- الحجاج الشفوي حجاج ينقص فيه معرفة وضعية الخطيب أثناء خطبته، وكيف كانت هيئته، وصوته، ولغة جسده، وكيف هي أنماط مستمعيه ... إلخ.

٤- تنوعت الحجج في المدونة، وأجاد داود في عرضها، وترتيبها الأمر الذي أدى إلى رفع طاقتها الإقناعية، إلى جانب إكسابها المزيد من القوة الحجاجية.

٥- ارتفع صوت حجج السلطة في خطبه، وهو أمر طبعي غير مستنكر في الخطابة السياسية، وفي دولة تستعيد حقها من غاصبي إرثها —كما ترى -.

٦- شكلت المكونات اللغوية جزءًا مهمًا في انسجام أطراف الخطاب وتماسكها؛ محققة مقاصد الخطيب من خلال وظيفتي التأثير والإقناع.

٧- يعد ترتيب أجزاء الخطاب في خطب داود رافدًا من الروافد المهمة في تحقيق الإقناع؛ فقد كانت له اليد الطولى — في مختلف مستوياته وأشكاله — في تقوية الحجاج وخدمته.

(١) انظر: ابن عبدربه، أحمد بن محمد، العقد الفريد، ج٤ / ص١٨٨.

(٢) انظر: ابن قتيبة، عبدالله بن مسلم، كتاب عيون الأخبار، مج١ / ص٦٣٨.

(٣) انظر: العلوي، السيد جعفر البيتي، كتاب مواسم الأدب، ج٢ / ص١١٥.

التوصيات:

١- خطب داود بن علي أرض خصبة لتطبيق المناهج النقدية والمقاربات اللسانية والنظريات الحديثة التي يمكنها أن تخدم هذه المدونة بدراسات متكاملة تكشف ما فيها من جماليات.

٢- دراسة الخطب السياسية في العصر العباسي أو أحد أعلامها البارزين مثل: خلفاء الدولة وقوادها دراسة أسلوبية تبرز أفانين الحجاج فيها، وتسهم في تشكيل خصائص الحجاج الشفوي لخطب ذلك العصر.

المصادر والمراجع:

أرسطو، (٢٠٠٨م)، الخطابة، ترجمة: عبدالقادر قنيني، د.ط، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء/ المغرب.

الأصمعي، أبو سعيد عبدالملك بن قريب، (د.ت)، الأصمعيات، تحقيق وشرح: أحمد محمد شاكر وعبدالسلام محمد هارون، ط٥، د.م، بيروت/ لبنان.

أعراب، حبيب، (٢٠٠١م)، "الحجاج والاستدلال الحجاجي: عناصر استقصاء نظري"، عالم الفكر، الكويت، مج٣٠/ ع١ / (يوليو – سبتمبر)/ ص٩٧ – ١٣٨.

الأنباري، أبو البركات عبدالرحمن بن محمد، (١٤٠٧هـ – ١٩٨٧م)، الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين: البصريين والكوفيين، تحقيق: محمد محيي الدين عبدالحميد، د.ط، المكتبة العصرية، صيدا – بيروت.

الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر، (١٤٠٥هـ – ١٩٨٥م)، البيان والتبيين، تحقيق وشرح: عبدالسلام محمد هارون، ط٥، مكتبة الخانجي، القاهرة.

الجرجاني، عبدالقاهر، (١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م)، كتاب أسرار البلاغة، تحقيق: هـ. ريتر، ط٢، مكتبة المتنبي، القاهرة.

ابن الجوزي، أبو الفرج عبدالرحمن بن علي، (١٤١٢هـ – ١٩٩٢م)، المنتظم في تاريخ الأمم والملوك، دراسة وتحقيق: محمد عبدالقادر عطا ومصطفى عبدالقادر عطا، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت/ لبنان.

الحسني، سامية الدريدي، (١٤٣٠هـ – ٢٠٠٩م)، دراسات في الحجاج: قراءة لنصوص مختارة من الأدب العربي القديم، ط١، عالم الكتب الحديث، عمّان/ الأردن.

حمودة، فتحي بيومي، (١٤٠٦هـ – ١٩٨٥م)، أسلوب الشرط بين النحويين والبلاغيين، د.ط، دار البيان العربي، جدة.

الحوفي، أحمد محمد، (د.ت)، فن الخطابة، (د.ط)، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة.

الدريدي، سامية، (١٤٢٨هـ – ٢٠٠٨م)، الحجاج في الشعر العربي القديم من الجاهلية إلى القرن الثاني للهجرة بنيته وأساليبه، ط١، عالم الكتب الحديث – جدارا للكتاب العالمي، عمّان – إربد/ الأردن.

الشريف المرتضى، علي بن الحسين الموسوي، (د.ت)، أمالي المرتضى: غرر الفوائد ودرر القلائد، د.ط، دار الفكر العربي، القاهرة.

الشهري، عبدالهادي بن ظافر، (١٤٣١هـ – ٢٠١٠م)، "آليات الحجاج وأدواته"، بحث منشور ضمن كتاب: الحجاج مفهومه ومجالاته: دراسات نظرية وتطبيقية في البلاغة الجديدة، إعداد وتقديم: حافظ إسماعيل علوي، ط١، عالم الكتب الحديث، إربد/ الأردن.

صالح، محمود عبدالرحيم، (١٤٣٢هـ – ٢٠١١م)، فنون النثر في الأدب العباسي، ط١، دار جرير للنشر والتوزيع، عمّان/ الأردن.

صفوت، أحمد زكي، (د.ت)، جمهرة خطب العرب، د.ط، المكتبة العلمية، بيروت/ لبنان.

صلاح الدين الصفدي، خليل بن أيبك، (١٤١١هـ –١٩٩١م)، كتاب الوافي بالوفيات، اعتناء: محمد الحجيري، ط٢، فرانز شتايز/ شتوتغارت.

صولة، عبدالله، (٢٠٠٧م)، الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية، ط٢، دار الفارابي، بيروت/ لبنان.

صولة، عبدالله، (٢٠١١م)، في نظرية الحجاج دراسات وتطبيقات، ط١، مسكيلياني للنشر والتوزيع، تونس.

الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير، (د.ت)، تاريخ الطبري: تاريخ الرسل والملوك، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط٤، دار المعارف، مصر.

عادل، عبداللطيف، (١٤٣٤هـ – ٢٠١٣م)، بلاغة الإقناع في المناظرة، ط١، منشورات ضفاف – منشورات الاختلاف – دار الأمان، بيروت/ لبنان – الجزائر العاصمة/ الجزائر – الرباط/ المغرب.

عادل، عبداللطيف، (١٤٣٧هـ –٢٠١٦م)، "الحجاج في الخطاب السياسي"، بحث منشور ضمن كتاب: التحليل الحجاجي للخطاب، إشراف و تقديم: د. أحمد قادم و د. سعيد العوادي، ط١، كنوز المعرفة، عمّان/ الأردن.

ابن عبدربه الاندلسي، أحمد بن محمد، (١٤٠٤هـ – ١٩٨٣م)، العقد الفريد، تحقيق: د. عبدالمجيد الترحيني، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت/ لبنان.

العرباوي، محسن علي حسين، (١٤٤٣هـ – ٢٠٢٢م)، "لغة السرد في خطب دواد بن علي: دراسة تحليلية"، مجلة الدراسات المستدامة – الجمعية العلمية للدراسات التربوية المستدامة، مج٤/ ع٢/ ملحق٢/ ص٥٣٧ – ٥٧٠.

العسكري، أبو هلال الحسين بن عبدالله، (١٤٠٩هـ – ١٩٨٩م)، كتاب الصناعتين الكتابة والنثر، تحقيق وضبط: د. مفيد قميحة، ط٢، دار الكتب العلمية، بيروت/ لبنان.

العلوي، السيد جعفر بن السيد محمد البيتي، (١٣٢٦هـ)، كتاب مواسم الأدب وآثار العجم والعرب، ط١، مطبعة السعادة، مصر.

قادا، عبدالعالي، (١٤٣٧هـ – ٢٠١٦م)، "حجاجية الترتيب والاستراتيجية الحجاجية في رسالة ابن عبدالبر على لسان أهل بربشتر"، بحث منشور ضمن كتاب: التحليل الحجاجي للخطاب، إشراف وتقديم: د. أحمد قادم و د. سعيد العوادي، ط١، كنوز المعرفة، عمّان/ الأردن.

ابن قتيبة، أبو محمد عبدالله بن مسلم الدينوري، (١٤١٤هـ – ١٩٩٤م)، كتاب عيون الأخبار، تحقيق: د. محمد الأسكندراني، ط١، دار الكتاب العربي، بيروت/ لبنان.

كمال، الزماني، (١٤٣٧هـ – ٢٠١٦م)، "حجاجية الصورة البلاغية في الخطابة السياسية لدى الإمام علي رضي الله عنه"، بحث منشور ضمن كتاب: التحليل الحجاجي للخطاب، إشراف وتقديم: د. أحمد قادم و د. سعيد العوادي، ط١، كنوز المعرفة، عمّان/ الأردن.

كحولي، محمد الناصر، (٢٠١٧م)، الحجاج الخطابي أسسه وتقنياته من خلال "ثمرات الأوراق" لابن حجة الحموي، ط١، دار زينب للنشر والتوزيع، تونس.

الميداني، أبو الفضل أحمد بن محمد، (١٤٣٧هـ – ٢٠١٦م)، مجمع الأمثال، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، (د.ط)، المكتبة العصرية، صيدا – بيروت/ لبنان.

ناعيم، مليكة، (١٤٣٧هـ – ٢٠١٦م)، "المقصد الحجاجي في النقد النحوي قراءة في نص لأبي حيان الغرناطي"، بحث منشور ضمن كتاب: التحليل الحجاجي للخطاب، إشراف وتقديم: د. أحمد قادم و د. سعيد العوادي، ط١، كنوز المعرفة، عمّان/ الأردن.

الهاشمي، أحمد، (١٤٠٣هـ – ١٩٨٣م)، جواهر الأدب، ط٢٩، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، د.م.